

## سورة الفلق

قل أعوذ برب الفلق تقدم معنى أعوذ في التعوذ ومعنى رب في اللغات والفاحة وفي الفلق ثلاثة أقوال الأول أنه الصبح ومنه فالق الإصباح قال الزمخشري هو فعل بمعنى مفعول الثاني أنه كل ما يفلقه الله كفلق الأرض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب عن المطر والأرحام عن الأولاد والحب والنوى وغير ذلك الثالث أنه جب في جهنم وقد روى هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من شر ما خلق هذا عموم في جميع المخلوقات وشرهم على أنواع كثيرة أعادنا الله منها وما هنا موصولة أو موصوفة أو مصدرية ومن شر غاسق إذا وقب فيه ثمانية أقوال الأول أنه الليل إذا أظلم ومنه قوله تعالى إلى غسق الليل وهذا قول الأكثرين وذلك لأن ظلمة الليل ينتشر عندها أهل الشر من الإنس والجن ولذلك قال في المثل الليل أخفى للويل الثاني أنه القمر خرج النسائي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى القمر فقال يا عائشة استعيذي بالله من شر هذا فإنه الغاسق إذا وقب ووقوبه هذا كسوفه لأن وقب في كلام العرب يكون بمعنى الظلمة والسواد وبمعنى الدخول فالمعنى إذا دخل في الكسوف أو إذا أظلم به الثالث أنه الشمس إذا غربت والوقوب على هذا المعنى الظلمة أو الدخول الرابع أن الغاسق النهار إذا دخل في الليل وهذا قريب من الذي قبله الخامس أن الغاسق سقوط الثريا وكانت الأسقام والطاعون تهيج عنده وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال النجم هو الغاسق فيحتمل أن يريد الثريا السادس أنه الذكر إذا قام حكى النقاش هذا القول عن ابن عباس السابع قال

الزمنخشري يجوز أن يراد بالغاسق الأسود من الحيات ووقبه ضربه الثامن أنه إبليس حكى ذلك السهيلي ومن شر النفاثات في العقد النفث شبه النفخ دون تفل وريق قاله ابن عطية وقال الزمنخشري هو النفخ مع ريق وهذا النفث ضرب من السحر وهو أن ينفث على عقد تعقد في خيط أو نحوه على اسم مسحور فيضره ذلك وحكى ابن عطية أنه حدثه ثقة أنه رأى عند بعض الناس بصحراء المغرب خيطا أحمر قد عقدت فيه عقد على فصلان وهي أولاد الإبل فمنعها بذلك رضاع أمهاتها فكان إذا حل عقدة جرى ذلك الفصيل إلى أمه فوضع في الحين قال الزمنخشري إن في الاستعانة من النفاثات ثلاثة أوجه أحدها أن يستعاذ من مثل عملهن وهو السحر ومن ائتمن في ذلك والثاني أن يستعاذ من خداعهن للناس وفتنتهن والثالث أن يستعاذ مما يصيب من الشر عند نفثهن والنفاثات بناء مبالغة والموصوف محذوف تقديره النساء النفاثات والجماعة النفاثات أو النفوس النفاثات والأول أصح لأنه روى أنه إشارة إلى بنات لبيد بن الأعصم اليهودي وكن ساحرات سحرن هن وأبوهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعقدن له إحدى عشر عقدة فأنزل الله المعوذتين إحدى عشر آية بعدد العقد وشفى الله رسوله صلى الله عليه وسلم فإن قيل لم عرف ... 819

(3/376)

226 النفاثات بالألف واللام ونكر ما قبله وهو غاسق وما بعده وهو حاسد مع أن الجميع مستعاذ منه فالجواب أنه عرف النفاثات ليفيد العموم لأن كل نفاثة شريفة بخلاف الغاسق والحاسد فإن شرهما في بعض دون بعض من شر حاسد إذا حسد الحسد خلق مذموم طبعا

وشرعا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب  
وقال بعض العلماء الحسد أول معصية عصى الله بها في السماء والأرض أما في السماء فحسد  
إبليس لأدم وأما في الأرض فقتل قابيل لأخيه هابيل بسبب الحسد ثم إن الحسد على درجات  
الأولى أن يحب الإنسان زوال النعمة عن أخيه المسلم وإن كانت لا تنتقل إليه بل يكره إنعام  
الله على غيره ويتألم به الثانية أن يحب زوال تلك النعمة لرغبته فيها رجاء انتقالها إليه الثالثة أن  
يتمنى لنفسه مثل تلك النعمة من غير أن يحب زوالها عن غيره وهذا جائز وليس بحسد وإنما  
هو غبطة والحاسد يضر نفسه ثلاث مضرات أحدها اكتساب الذنوب لأن الحسد حرام الثانية  
سوء الأدب مع الله تعالى فإن حقيقة الحسد كراهية إنعام الله على عبده واعتراض على الله في  
فعله الثالثة تألم قلبه من كثرة همه وغمه فنرغب إلى الله أن يجعلنا محسودين لا حاسدين فإن  
الحسود في نعمة والحاسد في كرب ونقمة والله در القائل ( وإني لأرحم حسادي لفرط ما  
ضمت صدورهم من الأوغار ) ( نظروا صنيع الله بي فعيونهم في جنة وقلوبهم في نار ) وقال  
آخر ( إن يحسدوني فإني غير لائمهم قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا ) ( فدام لي ولهم  
مأبى وما بهم ومات أكثرنا غيظا بما يجد ) ثم إن الحسود لا تزال عداوته ولا تنفع مداراته وهو  
ظالم يشاكي كأنه مظلوم ولقد صدق القائل ( كل العداوة قد ترجى إزالتها إلا عداوة من  
عاداك من حسد ) وقال حكيم الشعراء ( وأظلم خلق الله من بات حاسدا لمن بات في نعمائه  
يتقلب ) قال ابن عطية قال بعض الحذاق هذه السورة خمس آيات وهي مراد الناس

بقولهم للحاسد الذي يخاف منه العين الخمسة على عينك فإن قيل لم قال إذا وقب وإذا حسد فقيد إذا التي تقتضى تخصيص بعض الأوقات فالجواب أن شر الحاسد ومضرته إنما تقع إذا أمضى حسده فحينئذ يضر بقوله أو بفعله أو بإصابته بالعين فإن عين الحسود قاتلة وأما إذا لم يمض حسده ولم يتصرف بمقتضاه فشره ضعيف ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث لا ينجو منهن أحد الحسد والظن والطيرة فمخرجه من الحسد أن لا يبقى ومخرجه من الظن أن لا يحقق ومخرجه من الطيرة ألا يرجع فلهاذا خصه بقوله إذا وقب فإن قيل إن قوله من شر ما خلق عموم يدخل تحته كل ما ذكر بعده فلائى شئ ذكر ما بعده فالجواب أن هذا من التجريد للاعتناء بالمذكور بعد العموم ولقد تأكد ما ذكر في هذه السورة بعد العموم بسبب السحر الذي سحر اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم وشدة حسدهم له